البريد الأدبي

تولستوى لمناسبة الاحتفال بذكرى وفاته

تحتفل روسيا السوفيتية خلال شهر ديسمبر باحياء ذكرى كاتب روسيا وفيلسوفها الأكبر ليون تولستوى ، وذلك لمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته . ولقد محت الثورة البلشفية كثيرا من معالم روسيا وذكرياتها وتقاليدها القديمة ، ولكن روسيا السوفيتية ما زالت تحرص على رعاية الآداب والعلوم والفنون ، وما زال هذا الحرص يتجلى فى كل موقف ومناسبة ، وذكرى تولستوى تتبوأ فى الأدب الروسى بل وفى الأدب العالمى أسمى مكانة ، وما زالت الثورة البلشفية تنحني اجلالا لذكرى هذا الذى رفع الأدب الروسى الى السماكين ، وانشح بنوع من القدسية تجعل ذكراه وتراثه فوق كل ثورة وكل انقلاب

توفى تولستوى منذ خمسة وعشرين عاما ، فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ ؛ وكان مولده سنة ١٨٢٨ فى قرية باسينا بوليانا من أعمال مقاطعة تولا فى أسرة قديمة عريقة فى النبل ؛ وتوفيت والدته وهو فى الثانية من عمره ، ثم توفى أبوه وهو فى التاسعة من عمره ؛ فكفلته واخوته إحدى عماته ، وتلقى معهم تربية خاصة على يد معلم فرنسى ؛ وفى سنة ١٨٤٣ أرسل الى جامعة قازان ليدرس فيها ؛ ولكنه لم يبد براعة خاصة فى الدرس ، فقضى بها حينا ، وغادرها ملولا ، وانكب على اللهو بضعة أعوام ؛ ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره انتظم فى سلك الجيش فى قسم المدفعية وأرسل الى القوقاز ، واشترك فى حرب القرم تحت إمرة البرنس جورتشاكوف ، وقاتل فى موقعة سلستريا سنة ١٨٥٤ ، وفى موقعة سباستبول سنة ١٨٥٥ . وكان تولستوى قد ظهر فى عالم الأدب قبل ذلك بضعة أعوام ، فكتب فى بعض المجلات الكبرى ، وكتب كتبه الثلاثة الأولى وهى « الطفولة » (سنة ١٨٥٢) ثم « الحداثة » (سنة ١٨٥٣) ثم « الشباب » . كتبها فى القوقاز قبل أن يزج الى ميدان الحرب ، ووصف فيها طفولته وحداثته وشبابه فى صورة مؤثرة . وفى أثناء الحرب ، وتحت قصف المدافع كتب تولستوى عدة صور وقطع حربية قوية أسماها « قصص سباستبول » وفيها ظهرت روعة مواهبه الأدبية ، فطارت شهرته وكان بدء مجده الخالد . وفى « قصص سباستبول » تبدو شخصية تولستوى قوية ، ويبدو اجلاله للحقيقة والشمائل الانسانية والحب الأخوى ؛ ويبدو مقته لكل مظاهر الطغيان والعنف . ولما انتهت الحرب عاد الى بطرسبرج تسبقه شهرته ، واتصل فيها بكل مجتمع رفيع وشخصية بارزة ؛ واتصل بأقطاب الكتابة والأدب ، ولاسيما تورجنيف وجونشاروف وتكراسوف ، وتوثقت علائقه بتورجنيف مدى حين ، ولكنها لم تلبث أن فترت لاختلافهما فى كثير من الآراء والمبادىء . ذلك أن تولستوى كان ثورى المبدأ والعقيدة ، يحرر العبيد فى ضيعته ، ويغدق العطاء للفقراء ؛ ولكنه كان فى أعماق نفسه « انفراديا » وكان بعيدا عن الحركة الاشتراكية التى كانت تجرف روسيا يومئذ ويتزعمها جناح قوى من الكتاب والأدباء . هذا إلى أن تولستوى كان عبد الحقيقة يصورها فى تفكيره وفى كتابته ؛ بينما كان أولئك الكتاب يكتبون غير ما يعتقدون ، ويفعلون غير مايقولون . وقد كانت كتب تولستوى صورة صادقة لشخصه ومبادئه ، وكل ما فيها مستمد من حياته ومن نفسه ؛ وهذا ما يقرره تولستوى نفسه فى بعض كتاباته إذ يقول : « إن الحقيقة هى بطلة مؤلفاتى ، وهى دائما نفثة روحى وكل جوارحى »

وفى سنة ١٨٦٢ تزوج تولستوى من صوفيا بيرس ؛ ولم يمض قليل على هذه الحياة الهادئة حتى كتب تولستوى أعظم كتبه قصة « الحرب والسلام » وظهرت لأول مرة سنة ١٨٦٩ ثم كتب قصته الخالدة « حنه كارنينا » وظهرت سنة ١٨٧٧ ؛ وفى هذين الكتابين يصل تولستوى الى ذروة قوته وروعته . وفى القصة الأولى أعنى « الحرب والسلام » يصف تولستوى حوادث الغزوة النابوليونية لروسيا ؛ ومما يلفت النظر أنه يصف

فيها والدته فى شخص الأميرة مارى . وقد رأينا أن تولستوى فقد والدته وهو فى الثانية ، ولكنه مع ذلك يؤكد لنا أنها تركت فى ذهنه صورة قوية وأنه احتفظ فى ذهنه الفتى بكثير من ذكرياتها وصورها . وأما قصة حنا كارنينا ، وهى فيما يرى النقدة أعظم كتب تولستوى ، فهى القصة الخالدة لزواج نكد ، وما يترتب على مثل هذا الزواج من المحن ؛ وهى القصة الخالدة لزواج عادى وما يحيط به من العوامل والظروف . هى قصة فتاة تزوجت فى سن العشرين رجلا يكبرها بعشرين عاما ، وعاشت معه ردحاً من الزمن أمينة مخلصة ؛ ولكنها فى الثلاثين اضطرمت بفورة من الهوى فأحبت ضابطا فتى جميلا واستسلمت اليه ؛ ولما ارتاب زوجها فى الأمر اعترفت له لأول وهلة ؛ وأدرك الزوج بعد التفكير أنه يحمل تبعة هذه الجناية ، لأنه جنى على امرأة شابة فتزوجها وهو ليس أهلاً لحبها ، وكأنما اختلسها اختلاساً وارتكب بذلك جرما يعاقب عليه ؛ وعلى ذلك فقد شعر أنه يستحق ما أصابه ، وترك زوجه الفتية (حنه) وفارقها ، وعاش بلا أسرة . ولكن هل كانت حنه سعيدة بهذه الحرية ؟ كلا ، فقد شعرت هى الأخرى بإثمها ؛ وسرعان ما دب الفتور الى حبيبها ، وأضحت تشعر أنها غدت عبئا ثقيلا عليه ، وهكذا حطمت حياتها . وأما العاشق (فرونسكى) فقد كان فتى جم العبث والأهواء ، وكان يهوى حنه هوى الفورة والساعة ؛ ولكنه شعر أنه أثم أيضا وأن إثمه يوجب عليه أن يبقى إلى جانب تلك التى حطم حياتها ففر معها الى الخارج وقضى بذلك على مستقبل زاهر كان فى انتظاره ، ثم كانت خاتمة المأساة ذات يوم فى حلبة السباق إذ سقط المحب القديم من فوق ظهر جواد كان يعتليه فقتل لساعته .

تلك هى الفلسفة الانسانية الرائعة التى يبسطها لنا تولستوى فى أعظم كتبه . وفى سنة ١٨٨٠ نشر تولستوى كتابه « اعترافى » وفيه يبسط لنا آراءه ونظرياته الدينية . وفى هذا الميدان كما فى غيره يبدو تولستوى فى صور مختلفة متناقضة ، فبينا نراه الرجل المؤمن العريق فى الايمان إذا بنا نراه ملحدا منكرا ، وإذا بنا نراه وثنيا وطائفيا . وكتب تولستوى بعد ذلك عدة كتب ورسائل أخرى يغلب عليها طابع التصوف ، منها « ايڤان ايليتش » و « السكورتيس سوناتا » و « مملكة الله فى قلبك » و « ما هو الدين » . وساح تولستوى فى ألمانيا وسويسرا وغيرها وكتب صور سياحته فى كتابين : أحدهما يسمى « لوسرن » والآخر « مذكرات مخليودو » وغدا تولستوى فى كهولته فيلسوفا ومصلحا اجتماعياً يحرر عبيد ضيعته ، ويقسم أرضه بين الفلاحين ويعنى بتربيتهم وإرشادهم ، ويغيث البؤساء والمنكوبين ؛ ومن أثر ذلك أنه نزل عن أملاكه لزوجه وأولاده ، وحاول أن يعيش عيشة الزهد والتقشف مثل ما يعيش أفقر أبناء الريف . وكان ذلك سببا فى تنغيص حياته العائلية ، وفى تسميم علائقه بزوجته . ولما شعر فى أواخر حياته أنه غدا بين أسرته كالغريب النبوذ ، فر من منزله سرا . وكان قد تبوأ ذروة مجده منذ أعوام طويلة وغدا يكتنفه نوع من القداسة ، وكان قد أشرف على نهاية حياته الحافلة فتوفى بعد ذلك بقليل فى بلدة استابوفو فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ ، واختفت بذلك شخصية من أعظم شخصيات الأدب الحديث

وكان تولستوى شاعراً وفيلسوفاً وناقداً وفناناً ، وكانت حياته كلها حياة كفاح واضطراب ، ولكنها متناقضات مدهشة ؛ فمن ارستوقراطية عريقة ، الى ديمقراطية ساذجة ؛ ومن إيمان مؤثر إلى إلحاد مطبق ؛ ومن شغف بالنساء إلى احتقار لهن ؛ ومن إنسانية فياضة إلى أنانية عميقة . بيد أن تولستوى كان يسمو بروحه ومشاعره إلى أنبل ما يمكن أن تسمو اليه النفس الانسانية ؛ وقد كان لفلسفته وكتبه أثر عميق فى تطور الشاعر الروسية ، وفى تكوين النفس الروسية الحديثة

وقد بلغت مؤلفات تولستوى فى الطبعة الروسية زهاء مائة مجلد ، وترجمت إلى كثير من اللغات الحية ؛ وترجم له كثيرون من أكابر الكتاب فى مختلف الأمم

رسالة ملوكية ضخمة

من أنباء استانبول الأخيرة أن السلطات المختصة قد وجدت فى محفوظات متحف الدولة رسالة ملوكية ضخمة من الورق المشمع وطولها تسعة أمتار وعرضها سبعة ؛ وظهر من البحث أنها رسالة أرسلها شاه الفرس فى القرن السادس عشر الى السلطان سليمان الأكبر . وقد تقرر أن تعرض لأنظار الجمهور

موت زعيم كريم ، ابراهيم بك هنانو

وا أسفاه ! ! في الساعة التي اشتبهت فيها معالم السياسة في سورية ، فتدسست الأماني الخوادع إلى الشعب ، وتفرقت السبل الجوامع بالزعامة ، يغيب القطب الهادي ، ويُهدَم المنار الدالُّ ، ويخبو الضرام المذكي ، ويخفت الصوت المجمِّع ، ويموت الزعيم هنانو ؟ ! رُوِّعت سورية من شمالها إلى جنوبها بنعي هذا الزعيم الكريم ، ونالها من خطبه ما غلب على الصبر ومنع من القرار ، فهبت كلها تندبه وترثيه ، وتبكي بطلها وأملها ودليلها فيه . والحق أن الفقيد العظيم كان مثلاً نادراً في الزعامة البريئة الجريئة المخلصة : كان صلباً في الرأي على قدر إيمانه ، ومتمرداً على الباطل على سواء حقه ، ومهيمناً على الشعب بقوة نفسه ونبل غرضه . جرد على الواغل الدخيل جيشاً من الوطنية الصابرة والحمية الثائرة والعروبة الغضبي ، ثم صمد له بالعدد القليل بعد سقوط دمشق سنة كاملة لم يلن لمغمز ولم ينكل عن خطة ، حتى آل أمره إلى فلسطين فسلمته حكومتها إلى فرنسا لحوكم ويرى ؛ ومن ذلك اليوم كان معقد آمال السوريين يفزعون إليه في المعضلات ، ويستنيرون برأيه في المشكلات ، وينضوون إلى رايته في المواقع . كان رحمه الله على خلق الزعماء أولي العزم والرسالة : نظر إلى أمته نظر الحكيم المصلح فألف بين قلوبها ووفق بين ميولها وقرب بين عقائدها ، ثم دافع عن مرافقها دفاع المؤمن النزيه ، فلم يسف إلى دنيء المطامع ، ولم يغتر بمظاهر الجاه ، ولم يطمح إلى عزة السلطة ، وإنما ظل جندياً يقود ، ومحامياً يذود ، وخطيباً يرأب بلسانه صدوع الفرقة ، حتى أصابه الجهاد المستمر ، وأقعده المرض المخامر ، فكان زعيماً بالفكرة ، قائداً بالبداهة ، مرشداً بالقدوة . ثم قبضه الله إليه فأحدث ذلك الفراغ المخيف ، وهن أمته تلك الهزة العنيفة ، لأن الزعماء الذين يصوغهم الله على هذا الطراز يكونون في النهضات الاجتماعية من أممهم مكان السماط من حبات العقد ، ينظمون وحدتها ، ويجمعون كلمتها ، ويمسكون نظامها ، ويعقدون أمانيها ؛ فاذا قطعت المنون ذلك الخيط ذهب العقد بَدَداً ما لم يكن له من الله ناظم وعاصم — سقى الله بصيب الرحمة ثراه ، وعزى فيه الأمة العربية خير العزاء

الاحتفال بالجاحظ

في السنة القادمة (١٣٥٥ هـ) يتم أحد عشر قرناً لوفاة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ؛ وياحبذا لو تقدم علماء العراق وأدباؤه الى الاحتفال بذكراه في مدينة البصرة ، واشتركت الأقطار العربية كلها بتمديد مناقب أعظم رجل جمع بين علوم الدين والدنيا في الاسلام . محمد كرد علي

جوائز نوبل

ذكرنا في العدد الماضي أن جائزة نوبل للطب والفسلجة قد منحت عن هذا العام الى العلامة الألماني الدكتور هنز شبيمان من أساتذة كلية فريبورج . ونضيف اليوم أن جائزة نوبل للكيمياء قد منحت للأستاذ جوليو الفرنسي من أساتذة جامعة باريس ولزوجته السيدة كوري جوليو ، وهي ابنة مدام كوري الكيميائية البارعة التي اشتهرت بمباحثها واكتشافاتها في الراديوم وخواصه . ومنحت جائزة نوبل للطبيعيات للأستاذ جيمس سادويك الانكليزي ومن أساتذة جامعة كمبردج اعترافاً بفضله في اكتشاف « النوترون » . وقيمة كل جائزة من هذه الجوائز الشهيرة كما أسلفنا سبعمائة ألف فرنك (نحو تسعة آلاف جنيه)

وأما جائزة نوبل عن الآداب فلم يتقرر منحها هذا العام ، وتقرر أن يعاد النظر في أمر منحها في العام القادم . وقد سبق أن عطل منح هذه الجائزة زهاء خمس عشرة سنة من ١٩٠١ الى سنة ١٩١٤ ، ثم استؤنف منحها بعد ذلك

توريد أدوات كتابية

تقبل إدارة التوريدات العمومية بوزارة المالية لغاية الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ عطاءات عن توريد أدوات كتابية ، ودوسيهات ، وظروف ، وكرتات ، وأحبار ، ومواد لصق ، وأكياس تيل للنقود ، ودواليب صلب للمحفوظات ، لازمة لسنة ٣٦-١٩٣٧ . ويمكن الحصول على قائمة المواصفات وشروط المناقصة من الادارة المذكورة مقابل مائة مليم